بيوتنا كما نحبها

محمد حمص

دار المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

بيوتنا كما نحبها

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمي : البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة : ٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثاني
تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

لماذا بيوتنا ؟

بيوتنا .. حياتنا الدافئة ، وراحتنا الدائمة ، وسعادتنا المنشودة ، فيها الأرواح تتلاقى ، والدماء تمتزج ، والمشاعر تتحرك ، والأحاسيس تنبض بالحب والمودة ، بالحنان والعطف ، بالرأفة والرقة ... أب وأم ، أخ وأخت ، ابن وابنة ، جد وجدة ، شاب وفتاة ، طفل وطفلة ، كلهم يجتمعون فى هذا الجو الفريد ... الذى هو حسنة البشرية إلى الممات .. وهو روح الدنيا وزهرة الوجود .

ولذلك كان لابد لهذا البيت أن تشع أنواره فى كل مكان ويحظى بضيائه كل من جاوره .. لينعم المجتمع بأحلى حياة وأسعد لحظات ..

ومن أجل ذلك كانت هذه الوجدانيات الصادقات والمشاعر المخلصات من مربى فاضل من رجال التربية والتعليم ... وهو يحدثنا عن تكوين البيت كما نحبه وعن الحياة السعيدة فى داخله ثم عن دوره فى الخارج كبيت ضياء ونور وعبير يسعد المجتمع وتبتهج به الحياة .

شكر الله لمربينا الجليل وهو يلمس حاجتنا الماسة إلى مثل هذه

المعانى التى جاءت سريعة ولكنها أصابت الهدف ، وقصيرة قد حققت الغاية ، وهذا هو مقصود البلاغة فى عصرنا الحديث ومجتمعنا المعاصر .

وأهمس فى أذن القارئ أن هذه المعانى لناشدى السعادة تحتاج إلى تطبيق وممارسة والله المستعان والمعين .

دار المدائن

المقدمة

أيها الأب .. أيتها الأم

أيها الرجل .. أيتها المرأة

أيها الزوج .. أيتها الزوجة ..

البيت مملكة أنتما معاً صاحباها ، وسفينة أنتما معاً ربانها ، وشركة .. كل منكما رب الشركة ومالكها .. وترجع إدارة البيت إليكما معاً ، فإن كان بينكما تفاهم وتعاون ، وتنسيق واتفاق .. وإن كان بينكما ومعكما نظام ومنهج ، وهدف واضح محدد يرضى الله ورسوله ..

إن كان كل ذلك ، فهى الإدارة الناجحة بإذن الله .. وبهذا الهدف وهذه النية وتلك العلاقة بينكما ، فإن الله سيجعل من هذا البيت .. بيت الدعوة ، وبيت التربية .. وبيت الهداية وبيت الإيمان وأمثال هذا البيت سيتخرج فيه المؤمنون والمؤمنات ، ويتسم مجتمعه بالقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصديقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات . الذين أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما .

أمثال هذا البيت سيحسن التربية ، وسيحسن التوجيه والرعاية ، وسيكون قبلة لكل بيت يقدر الله له الهداية ، ونموذجاً طيباً تتطلع إليه أنظار كثير من البيوت .

سيرى فيه الزهرة والشبل المسلم ، والشاب المستقيم ، والفتاة الملتزمة العفيفة ، والزوجة الصالحة فى نفسها المصلحة لغيرها ، وكذلك الزوج القوى الأمين ، والأب الراعى الحكيم .

ولأن هذا البيت توفرت فيه الدعائم الثلاثة للبيت المسلم تمشيا مع ما جاء فى القرآن الكريم ..

١ـ ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [١] .

٢ـ ﴿ **اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [٢] .

٣ـ ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ [٣] .

وصدق عليه السلام حين قال : « وخالق الناس بخلق حسن » [٤] وهذه من أخلاق الإسلام ، إن تحققت فى أسرة أو جماعة ما سمت بها إلى ما فوق مستوى النجاح وبلوغ المرام فى أدائها لمهمتها .

ونحن نربأ ببيوت الدعاة إلى الله خاصة ، وأصحاب المبادئ الإيمانية والعاملين فى حقل الإسلام وكل بيوت المسلمين إلا أن تكون كذلك .. فلا نرى فيها عوجاً ولا أمتاً ، ولا صخباً ولا

---

(١) الشورى / ٣٨ . (٢) سورة المائدة / ٨ .
(٣) سورة النساء آية / ١٩ . (٤) أحمد والترمذى والدارمى .

جـدلاً ، ولا عـصـيـاناً وإصـرارا ، ولا علوا وازدراءً ، ولا تنافـراً واختـلافاً .. من الزوج أو من الزوجة والأولاد .. بل نرى استـواءً وتساويا ، وتفاهماً وتسامحاً ، وطاعة وتراضياً ، وتواضعاً واحتراماً ، وحباً واجتماعاً ، وهدوءاً وراحة وطمأنينة وسعادة . وهذا ما نرجوه لبيوتنا وفقنا الله جميعا للوصول بها إلى هذا المستوى الطيب آمين .

* * *

الباب الأول

تكوين البيت

حق على الآباء والأبناء .. تأسيس البيوت على تقوى من الله ورضوان .. وذلك باختيار خير متاع الدنيا المرأة الصالحة . فإنها هى البيت ، لا يفتح ويتكون إلا بها .. فإن كان الاختيار طيباً كان خيرا وبركة على البيت داخله وخارجه .. والعكس صحيح

حسن الاختيار

والبيت المسلم أمر واجب على الفرد المسلم فعليه إذن بالمرأة الصالحة ، يختارها دون غيرها .

فصلاح بيته من صلاحها .. وصلاح المجتمع كذلك .. فإن غلبه هوى أو إحدى شهوات الدنيا .. فعدل عن الصالحة الملتزمة عدل عن سبيل المؤمنين إلى غيرها .. فهو هنا لم يحكم عقله .. **﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه ﴾** [1] ؟؟ أضل نفسه .. وبيته .. ومجتمعه .. وهو بهذا يكون قد أحدث عدة جرائم سيحاسب عليها أمام ربه .. إذ أتاح للشيطان منافذ إلى نفسه .. وإلى من

(١) القصص / ٥٠ .

عدل عنها .. وإلى المجتمع أيضـاً .

فعلى الراغب فى إنشـاء البيت المسلم والمجتـمع المسلم حسن الاختيار ، ونحن معه أن الصلاح ليس مظهراً فقط ، غير أن المظهر عنوان وعلينا أن نتـبين حقـائقـه وبواطنه .. ونحن مع هذا العنوان نتحراه .. ومن يصدق الله يصدقه .. وإنما لكل امرئ ما نوى ..

فإذا فاز بها ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه ، وملأ الله لهـما حياتهـمـا خيرا وبركة ونورا ، هكذا ندعو لهـمـا كـمـا كان يدعو رسول الله ﷺ .. فقد اختار التى تعاونه ويعاونها ليس فقط فى شئون البيت وتربية الأولاد .. وإنما فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله .. حتى يستحقا معاً رحمة الله عز وجل فعليه إذن أن يكون عونا لها على أداء دورها ، هذا بين بنات جنسها . ومع الأهل والجيران ، وفى موقع عملها ، ولا يحرمها بركة الخطو إلى المسجد إن رغبت تتعلم وتعلم وتعبد الله مستجيبا لنداء محمد عليه السلام .. « إذا استأذنتك زوجتك للذهاب إلى المسجد فلا تمنعها » [1] فإن المسجد بيت الله ، فيه الخير والنور والبركة ، وينعكس هذا كله على البيت ومن فيه صحة وعافية وتوفيقا من الله .. وكذا ينعكس على المجتمع ولا تنس أن النساء شقائق الرجال .

* * *

(١) متفق عليه .

التيسير لا التعسير

وعلى الآباء والأمهات تيسير أمر زواج المؤمنين للمؤمنات ، والطيبات للطيبين فتخف الاشتراطات والمواصفات « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . وهذا ما يبتغيه الشيطان وأعوانه من البشر أعداء الفضيلة .

وعلى الشباب أيضاً أن يستجيب لنداء خير من تزوج وعاشر وربى ونجح « فاظفر بذات الدين تربت يداك »(١) فليست السعادة فى الأثاث المادى أو فى الغنى والمظهر الجذاب .. وإنما فى الإيمان والرضى والوفاق وحسن الخلق .. صدق عليه السلام « يسروا ولا تعسروا .. وبشروا ولا تنفروا .. » (٢)والمطلوب « أن يؤدم بينهما » (٣)وهذا لا يمنع من الضوابط والتحرى . فمن للمرأة الصالحة إذا لم يتقدم لها الرجل الصالح ؟ فمن ؟

* * *

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم .

الباب الثانى

فى داخل البيت

١ـ سمت البيت المسلم

حين تدخله تلحظ النظام والنظافة .. وترى فى أركانه فناً وجمالاً ، كما تحس بالهدوء والراحة ، وتعايش المرح فى مودة وحب ، والحفاوة والكرم من الصغير والكبير وربما تسمع صوت أنشودة طيبة تدعو إلى الفضيلة .. أو صوت آية .. ومثلها على الجدران حكمة أو حديثاً .

وفى داخله تعاملات مختلفة .. طيبة وعلاقات حميمة مستمدة من نور السموات والأرض كما يشع منها النور أيضاً وهذا يرجع إلى التزام جوانب تعاملها مع أمور كثيرة نشير الآن إلى بعضها .

* * *

٢ـ الجو العبادى

﴿ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ [١] منفردين أو مجتمعين خلف إمام منهم . فجو العبادة بالبيت قائم .. التهجد وسنن الفرائض وغيرها .. وذكر الله والأدعية المختلفة .. لليوم والليلة ، والدخول والخروج والطعام والنوم والاستيقاظ والوضوء .. إلخ .

ويقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما .. والملائكة فى حركتها بين السماء والأرض تصعد إلى بارئها تخبره بما عليه حال أفراد الأسرة وهم بين عامل فى شئون البيت أو صائم وخاشع فى الصلاة ، أو ذاكر لله ، أو بين قارئ فى كتاب الله أو متصفح لكتاب أو صحيفة أو متفقه فى السيرة وأمور الدين .. إلخ ولا يغيب عنا أن كل عمل خالص لوجه الله داخل البيت مهما كان فهو عبادة .

* * *

(١) سورة الفرقان / ٦٤ .

٣ـ مع القرآن الكريم

فالعلاقة بالقرآن وطيدة ، وهو فى البيت نور : يطرد الشياطين ، ويملؤه بملائكة الرحمة وبالخير والبركة .. فيه .. يتلى ويسمع ويحفظ ثم يتدبر ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ (١) تجتمع حوله الأسرة قراءة وتدبراً وفهما . كما ينفرد كل منهم مع ورده فى خشوع وإجلال وتقدير لله عز وجل .

وإن أصغر البيوت ـ أهونها وأدناها وأقلها قيمة ـ بيت ليس فيه شئ من كتاب الله . بينما يعظم البيت وتعلو قيمته .. بكتاب الله تعالى . إضافة إلى أنه من قال به صدق ، ومن تمسك به هُدىَ ومن حكم به عدل .. ومن تعود عليه لسانه صح نطقه واستقامت لغته .

* * *

٤ـ اجتماع الأسرة

* وكما يجتمعون على القرآن وعلى الصلاة .. والذكر والدعاء .. يجتمعون أيضا داخل البيت على الطعام . نظام يلتزمونه ويحترمونه ، ويرون فى ذلك وسيلة منتظمة لاجتماعهم .. يتجاذبون فيها من أطراف الحديث الخفيف حبا وعطفاً ، ويطمئن الوالد على بنيه وبناته وعلاقاتهم .. ودراستهم وصحبتهم .. فإن المرء على دين خليله ، « فلينظر أحدكم من يخالل » .. وهكذا ربان السفينة يوطد العلاقة إن كانت طيبة صالحة دافعة للخير ، متزنة حكيمة ، وصلاح الإخوان زمرة فى الجنة يوم القيامة على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين .

* وفى الاجتماع على الطعام لا تهمل آدابه .. ولا يُنس بذل الأم وعطاؤها ، ولمسة الوفاء من الأبناء لأمهم ، وكذلك من الزوج « حتى اللقمة يضعها فى فىّ زوجته له عليها أجر » فالإسلام دين الحب والود والسكن ..

* وبعد الطعام أو قبله أو فى وقت ما ، تدور مناقشات بين الزوجين والأولاد حول معانٍ وأخبار كثيرة عن العالم أجمع والإسلامى بصفة خاصة ، والمجتمع الذى نعيش فيه من حولنا ..

وعن أخبار العمل وطرائف المجتمع ، كل يدلى دلوه ويبدى رأيه ، بما يعجبه وما لا يعجبه ، ما بين معروف ومنكر ، وصالح وسئ . ثم تتسرب الحقائق الإيمانية فتتشربها القلوب .. الحكمة من الخلق ، والحياة والموت والدنيا والآخرة ، أوقات فيها علم وإيمان وتثبيت للفؤاد ، وترسيخ للعقيدة . وتصحيح للعبادة ، وتوجيهات ونصائح ، وإفصاح عما فى النفس ، وكل ذلك يعين على حسن التربية وبيان الحق وإيضاح الباطل ووضوح الرؤية ومعرفة الطريق وتحرى الحلال والحرام .

* * *

٥ـ تربية الأولاد

والتعاون بين الزوجين فى تربية الأولاد وحسن توجيههم أمر ضرورى .. ولا تعاون دون تفاهم واتفاق فى الأسلوب .. والأم هى المعطاءة دائماً بما أكسبها الله من صفات خاصة فتوجيهاتها فى ثوب جميل من العطف والحب والحنان .. وخاصة فى غياب الزوج .. فإنها بهذا الأسلوب تتعهدهم وتعلمهم وتزكيهم بما يقوم سلوكهم إلى الأفضل وعند قدوم الوالد وتشريف الضيف .. ومعاملة الكبير والصغير وعند الطعام .. إلخ .. كما تشجعهم على الاعتماد على أنفسهم قدر الإمكان وتراقبهم وتتابعهم بحكمة وفن ولا تتوان فى ذلك فإن التهاون ضار بسلوك الطفل بعد ذلك .. فما أجمل أن يغرس الأبوان فى أولادهما الحب والإيثار معنى وسلوكا .. وكذلك الانضباط والنظام ، أما العقاب والزجر فللتخويف والتوجية معاً لا للإيلام والحرمان .. وما أفضل وسائل التشجيع لا الانتقام وتعويد الأولاد كسب رضاء الآخرين أكثر من الخوف منهم وتشجيعهم على اصلاح أخطائهم والاعتذار عنها .. وهكذا .

ومن وسائل التربية هذا الاجتماع الأسرى الذى أشرنا إليه وبعض الوسائل القادمة .

وإزاء بعض ما يصدر من الأولاد ، يلزم التحكم فى تصرفاتنا وأقوالنا ، فلا يرون منا ولا يسمعون سيئاً .. كما يجب أن نوقن أن الأولاد يتطلعون إلى ما يحدث بين الوالدين من تصرفات وأقوال ساعات الرضى والغضب والسرور وأوقات الأزمات والضيق .. وكل ذلك ينعكس عليهم .. فلنكن حكماء .

* * *

٦ـ التعاون

ما أجمل هذا بين أفراد الأسرة ومع ربانها .. تلك هى أوقات السعادة فى داخل البيت ففى داخل البيت نرى الجميع ليس فيهم عاطل ، الكل يساعد الكل ، فالزوج يستشعر معنى أن رسول الله ﷺ كان يكون فى مهنة أهله .. قدوة لأولاده .. يرى أحيانا مع زوجته فى إعداد الطعام وتقديمه وفى تنظيم البيت وتجميله وتنظيفه . والأولاد كذلك لا يترك أحدهم أباه أو أمه تعمل دون أن يشارك .. روح التعاون .. والعمل والحب .. فالسفينة سفينتنا والبيت بيتنا جميعاً ، من أحسن فيه فلنفسه ، ومن أساء فعليها .. ليس من متعالٍ على العمل أو نافرٍ ، ولا محتج بعذر واه .. وإن كانت الأعذار تعتبر بقدرها وحجمها .

* * *

٧ـ المناسبات

ومما يزيد ترابط الأسرة ويشيع الحب والألفة فى عمقها ويملأ قلوب الجميع احتراماً متبادلاً .. تلك المناسبات التى يتبادلون فيها الهدايا بعضهم مع بعض .. كمناسبات النجاح أو التفوق فى الدراسة ، فعلى الآباء الاحتفاء بهذه المناسبات وتشجيعها بين البنين والبنات .. فيتم إعدادها جيداً . كلمة التهنئة المقدمة من الأخ لأخيه أو أخته .. بعض ألوان الفكاهة ووسائل السعادة والمرح من نشيد مثلاً ، أو برنامج إذاعى ظريف وغير ذلك .. ومن المناسبات التى نغفلها ولها إشعاعاتها المؤثرة .. مثلاً مناسبة إتمام حفظ جزء من القرآن الكريم أو حتى سورة ، أو صيام شهر رمضان كاملاً لأول مره . أو حتى يوماً أو أسبوعاً . وبالنسبة للفتاة عند ارتدائها الحجاب لأول مرة .. كل هذه مناسبات تشيع فى البيت جو المرح والسعادة هذا بالإضافة إلى مناسبات الأعياد والمواسم الإسلامية وعند سفر أحد أفراد الأسرة أو قدومه من السفر .

وفى بعض هذه الاجتماعات يمكن للأبناء دعوة بعض الزملاء والأقارب والأصحاب المتآلفين معهم ولا بأس من توزيع بعض المشروبات والحلوى والجوائز .

هذه المناسبات جميعها طيب لو استغلت وأحسن توجيهها .. بل هى فرصة لكثير من التعارف وتصحيح الأخطاء ، وإيضاح المفاهيم ونشر بذور الخير وحميد الأخلاق .

* * *

٨ـ العلاقة بين الزوجين

إن علاقة الحب والاحترام المتبادل بين الزوجين حين يراه الأولاد ويدركونه بأعينهم له فعل السحر فى تنشئتهم التنشئة الصالحة .. وله أيضاً أثره الواضح فى استقامة حياتهم وصفاء نفوسهم وحسن تعاملهم ونجاحهم فى دراستهم واستيعابهم لمواقف الحياة المختلفة وتصرفهم فيها .. فلقد سئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه فقال بصراحة واضحة « عائشة » [١] وعلم الناس جميعاً أنه إذا أحب المسلم أخاه « فليقل له إنى أحبك فى الله » وليجبه الآخر بقوله « أحبك الذى أحببتنى له » وقال عليه السلام : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ... » [٢] أفليس من الأولى أن يكون ذلك فى داخل الأسرة بين الزوجين فاحترام الأب لزوجه ، والأم لزوجها يعطى ثباتاً لهذا اللون من الاحترام فى نفوس الأبناء .

* * *

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص .

(٢) متفق عليه من حديث أنس .

٩ـ وكذلك التعامل مع الزائر

سواء كان ذكرا أم أنثى .. فإنه إذا جاء انشرح صدره من حسن الاستقبال وحسن التحية فإن الزائر ضيف والضيف يكرم .. ومن إكرامه نظام البيت ونظافته وجماله حيث ينطبع في نفسه أنه في بيت الإيمان والكرم .. فإن الله كريم ، ونظيف يحب النظافة .. وجميل يحب الجمال ويأتي الأطفال وفي وجوههم نضارة وفي ملابسهم أناقة وعلى ثغرهم ابتسامة وفي حديثهم الأدب ، وفي حركاتهم اللطف وفي كلامهم الفكاهة مع ذكر الله .. واحترام الآخرين واعطاء الكبير حقه . « من كان يؤمن بالله واليوم ، فليكرم ضيفه .. » (١) كما أن على الزائر أن يختار الوقت المناسب وأن يكون رفيقا بمن يزور .

* * *

---

(١) متفق عليه .

١٠ـ مكتبة الأسرة

ولابد فى البيت من مكتبة فيها من الكتب ما يزيدنا معرفة فيما نحتاج إليه فى حياتنا وعبادتنا وعلاقاتنا وأنواع الثقافات المختلفة .. دعوة إلى الإطلاع والقراءة : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان من مالم يعلم** ﴾ (١) ، وحينئذ يكون الاجتماع على كتاب مناسب يغذى العقل أو يزكى النفس أو يرقى بالفكر.

ولا يغيب فى المكتبة كتب التفسير وسيرة الرسول ﷺ وتاريخ الإسلام وسير الصحابة ، وكتب الفقه والفكر .. وغير ذلك مما يحتاجه النساء والأطفال والشباب .

* * *

(١) سورة العلق / ١:٥ .

١١ـ أجر أعمال البيت

فى داخل البيت أمر غاية الأهمية .. فكل ما يتم فيه من أعمال تؤديها الزوجة أو الزوج والأولاد مثل : إعداد الطعام وطهية والتنظيف والغسل والكنس .. المذاكرة والتربية والتعاون واستقبال الضيف وإكرامه ، حتى الضحك واللعب والمرح .. إنما هى طاعة لله عز وجل وتقرباً إليه .. فهى إذن لون من العبادة .. وكأننا فى البيت بهذه النية فى هذه الأعمال ننال أجر العابد المتضرع إلى الله بإخلاص العمل فيها .. فليتنافس الجميع فى هذه العبادة ، عبادة العمل والتعاون داخل البيت والاستزادة من ثواب الله .. فخير الناس أنفعهم للناس .. وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فهذه الرعاية تكليف ربانى فهى عبادة .

فالبيت إذن عنوان ومظهر ، يدل على تصورات ومفاهيم سكنت واستقرت فى قلوب وعقول أصحاب البيت وأربابه وأنتجت تلك السلوكيات والعلاقات والتصرفات ، وأثمرت هذا التعاون والحب وهذه الألفة والسعادة ، بل هذا النجاح الفائق فى إدارة البيت وتنظيمه .

* وإذا كان البيت هو ميدان المرأة الأول .. مهما شغلت

بميادين أخرى .. تعطى فيه وتبذل وتقضى جل عمرها ، والرجل يختلف عنها فى هذا الميدان فقد يشغله السعى على الرزق خارج البيت ، ويحتاج منه جل وقته وجهده . ومهما كانت الظروف فإن المرأة تحتاج عون الرجل ، يده فى يدها ، وتحتاج منه الابتسامة والتعليق المشجع ، فالكلمة الطيبة صدقة ، وذلك فى وقت يتبادلان فيه المشاعر والآراء .

كذلك فإن على المرأة أن تكون واسعة الأفق فتدرك طبيعة شخصية زوجها وطبيعة عمله ، فتقرأ فى وجهه حين عودته ، ماذا فى نفسيته من عناء وتعب وإرهاق . وأيضا من انشراح وسرور ، ثم تحدثه وتعامله بما يناسب الحال لتريحه وتسعده فلكل مقام مقال ، وهو فى حاجة إلى دعاء الزوجة وحنوها عليه أيضاً .

وبهذا الأسلوب يدرك كل منها ما يحتاج الآخر ويسعده ، ثم يسعى جاهداً لإسعاده ، ومناجاته بتلبية رغباته وما أسعد أن يتبادل الزوجان الهدايا .. فيزداد الحب بينهما وصدق عليه السلام إذ يقول : « تهادوا تحابوا » [1].

وكل هذه من العبادات ذات الأجر العظيم عند الله .. لا حرمنا الله منها .

* * *

(١) أحمد والبخارى فى الأدب المفرد . وغيرها .

١٢ـ أسلوب العمل والتعامل

ينبغى أن نشير إلى أن أسلوب العمل والتعامل داخل البيت ومتطلباته .. يقتضى أن تحكمه أخلاقيات مبادئنا وقيمنا التى تضبط كل تصرفاتنا ..

فكما نستجيب لقول ربنا تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ..** ﴾ (١)وقوله كذلك : ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ فإننا يجب أن نستجيب لقوله عز وجل : ﴿ **كلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ (٢)ولقوله تعالى : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ..** ﴾ (٣).

فنحن أمة توصف بالوسطية أو بالحكمة .. ولعلنا ندرك أهمية استعاذة النبى عليه السلام من « الجبن والبخل » (٤) وكذلك من « غلبة الدين وقهر الرجال » ولعله أيضاً يحملنا المسئولية فى ذلك : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٥)فالرجل راع والمرأة راعية ، والخادم راع والكل سيسأل عن هذه الرعية .. « حفظ أم

---

(١) الأعراف / ٣٢ . (٢) الأعراف /٣١ . (٣) الإسراء / ٢٩ .
(٤) البخارى . (٥) أحمد والبخارى ومسلم .

ضيع » .

فالتدبير فى أمور البيت والمحافظة على ما فيه واجب على الزوج والزوجة ، يورثانه إلى البنين والبنات ، فيما ننفق ، ونتعامل معه ونستعمله .. فأدوات المنزل وآثاثه وأجهزته تحتاج الرعاية والمحافظة حتى لا يصبها التلف والفساد بسبب ذلك . ومشترواتنا فى حدود إمكانياتنا ، لا نجارى غيرنا أو نغالى فنؤذى الميزانيــة ، ولا نقتر على أنفسنا فيكون منظرنا غير لائق .

* * *

١٣- مع التليفزيون

وهنا مبعث الخطر .. حيث التسيب .. وإفساد القيم .. وغسل المخ منها ..

لكنه أحد أجهزة المنزل التى يجب أن نتعامل معه بحذر كما نتعامل مع السكين الحاد حين نستخدمه فى المنزل فلا نحرمّه ونمنعه ، ولا نترك لأنفسنا العنان معه ولا ندعه مع من لا يحسن الاستخدام حتى لا يجرحه كما يفعل السكين .. وإنما نحن معه نقبل على كل مفيد ، ونعرض عن كل ما يفسد الخلق والسلوك ، ومادمنا فى البيت المسلم وقد تربينا على أخلاق الإسلام وقيمه ، وتحرى الحلال والحرام ونشأنا هذه النشأة .. فلا خوف علينا إذن لأننا وحدنا سنميز بين الخير والشر وبين الحق والباطل والمفيد والضار ، وسننفر من كل ما يخالف .. هذا مع دوام التذكرة واستخراج العبرة وحسن التوجيه . وهذا واجبنا مع أولادنا .. من غير عنف ولا منع وحرمان ودون تسرع وغضب وإصدار القرار وإنما نصبر وندربهم كما دربناهم من قبل على تناول الطعام ، وعلى القراءة والكتابة ندربهم كذلك على كيفية استعمال كل أدوات المنزل وأجهزته وليس فقط التليفزيون .. بل ومع الإعلام

بصفة عامة .. ونحن قدوتهم فى ذلك كما أن هناك أجهزة وألعاب بديلة مفيدة تؤدى دورها وقت الحاجة ..

* * *

١٤ـ جو التفوق

ولاشك أن من نظام وتجميل البيت أن يتوفر الجو المناسب للاستذكار واستيعاب الدروس وتحصيل العلم ومراجعة مادرس فى المدارس والمعاهد ، حرصا على التفوق الدراسى ، أو النجاح المناسب .. فالمكان والهدوء .. والإضاءة .. والتغذية .. والوقت المناسب وعدم الإسراف فى المنبهات كما ننصح بعدم الاستسلام للمثبطات وغيرها فإن من جد وجد ، وعلى الأبناء أن يكونوا حريصين على وقتهم فإن الوقت هو الحياة فلا يستسلمون للنوم والكسل وما يلهى عن جدية مذاكرتهم ويكون ذلك فى تنظيم وقتهم تنظيماً يلتزمون به دون أن يطغى جانب على غيره .. ثم ضرورة تعويض مافاتهم ليسترجعوه ، وهم يفتتحون مذاكرتهم باسم الله والدعاء المناسب فى البداية والختام ، ويعتمدون على الله دائما فى هذا الأمر وعندما يحين وقت الصلاة نلبى .. ثم نعود .. ففى ذلك ترويحة مفيدة لاستعادة النشاط والفهم . وعلى الله قصد السبيل .

* * *

الباب الثالث

١ـ البيت وعلاقاته الخارجية

قبل أن نبدأ هذه العلاقات .. نرى ضرورة الربط بين ما يتم داخل البيت وهذه العلاقات الخارجية .. فإن البيت هو معمل التصورات والأفكار ، وفيه تغرس أسس التربية الإيمانية والسلوكية لدى أفراده ، وتتكون الميول والرغبات وينشأ التأثر بما فى هذه البيئة الأولى من علم وثقافة .. ثم تكون الإنطلاقة بكل ذلك خارج البيت .. إن خيرا فخيرا .. فعلى البيت المسلم أن يحسّن داخله ظاهره وباطنه ، فإن نجاحنا داخله يقودنا إلى النجاح خارجه .. أما إذا فشلنا داخله فكيف إذن سننجح خارجه .. فإن تم فهو نجاح معيب ـ تلك قاعدة ـ وإن كان لها شواذ ـ وليس النجاح إلا أن نأخذ بأسبابه وأسباب الارتقاء باذلين الجهد والوقت مصرين مستمرين ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا .

وإذا كان داخل البيت هو الميدان الأول الذى نرقى بأنفسنا فيه ، نتربى ونربى ونعايش القرآن الكريم ونعيش فى أجواء من العبادة بصورها المختلفة . فإن خارج البيت هو الميدان الواسع لتطبيق ما تربينا عليه وعشناه ، هو الأرض التى تنتظرنا لنحرثها ونرويها ونزرعها

ونعدها ، هو الحديقة التى تحتاج إلى بذر وغرس وألوان من الزهر تنشر عطرها فى الجو يملأ حياة الآخرين انتعاشاً ..

إن خارج البيت هو ميدان العمل ، ميدان الجهاد ، كما هو ميدان الكسب والثروة ، ميدان الحياة العملية للإنسان ذكرا كان أم أنثى ، بما يقدم ويبذل من الصالحات .. **﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾** [1] حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ، وتتوقف حياة الآخرة على حياة الدنيا ، والحياة الطيبة فى الدنيا هى أن يؤدى أفراد البيت المسلم دورهم فيها بمنهج الله وسنة نبيه فى نواحى الحياة المختلفة ومظاهرها جميعا فإن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دين ودولة ، وعلم وثقافة ، وخلق وقانون ، وجهاد ودعوه وكسب وثروة .. كما هو عقيدة وعبادة سواء بسواء .

قال تعالى : **﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾** [2] ، وقال تعالى : **﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾** [3] ، ثم قال تعالى : **﴿ فاسعوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾** [4] كما قال تعالى: **﴿ وقل رب زدنى علما ﴾** [5] .

(١) النحل / ٩٧ .　(٢) هود / ٦١ .　(٣) البقرة / ٣٠ .
(٤) الملك / ١٥ .　(٥) طه / ١١٤ .

والأعمال الصالحة فى الدنيا ليست مقصورة على أعمال البر والخدمات التى تقدم للناس ، ولا على أنواع العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة ، ليس ذلك فقط وإنما معها كل ما نقوم به ونؤديه ليس فيه معصية ولا مخالفة لسنة أو ايذاء لأحد أو داخله شيئ من الغرور والرياء ، أو اتباع لهوى أو اشباع لنفس غير زكية ، سواء كان هذا العمل وظيفياً أو خاصا واجباً أو تطوعاً ، وكذلك كل عمل فيه طاعة لله ورسوله واتباع لسبيل المؤمنين ، وبعد ذلك **﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما . ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾** (١).

ولعلنا الآن نلقى بعض الضوء على علاقات البيت المسلم مع خارجه ، ليكون خارجه امتدادا لداخله الطيب وإعلانا عن نجاحه فى تكوين مجتمع مسلم ملتزم بأخلاق الإسلام ، معلٍ لراية القرآن ومنفذ لشريعته ..

* * *

(١) النساء / ١١٤ :١١٥ .

٢ـ مع المسجد

ما من شك فى أن صوت الآذان يهز القلوب فى البيت المسلم ، ويحرك أصحابها كباراً وصغاراً إلى المسجد ، فتكثر الخطا إليه ، ويجنى أصحاب البيت رجالا ونساءً وأطفالاً من وراء ذلك عند الله درجات ، كما تحط عنهم بقدر عدد الخطا سيئات ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ ويشهد لهم بالإيمان « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » [(١)] .

وليس على النساء فرضية صلاة الجماعة والذهاب إلى المسجد ، لكن الإسلام لم يحرم الأنثى حقها فى التردد على المسجد دون أن تعطل واجبات عليها فى المنزل .. فليس ثمة نهى عن هذا .. فإنها إذا ما فرغت من واجبات المنزل أو وازنت هذه الواجبات دون أن تخل بها ، فعلى الزوج أن يمنحها طلبها فيصرح لها ولا يحرمها هذه المتعة منفذاً لوصية رسول الله ﷺ : « إذا إستأذنتك زوجتك للذهاب إلى المسجد فلا تمنعها » ونقول : آن للزوج أن يعاونها فى تحقيق الطلب .

فالعلاقة إذن قوية بين البيت المسلم وبيت الله تعالى .. بيت

(١) أحمد والترمذى .

العبادة والرحمة والرضوان .. ومهما كانت مشقة البعـــد ، فالصلة قائمة والأعذار تقدر بقدرها والله لطيف بعباده ولا تخفى عليه خافية .

* * *

٣ـ مع الجيران

جيران البيت المسلم لابد أن تصلهم أضواء هذا البيت ، فهو ليس بيتاً مغلقاً على نفسه ، لا يهتم بمن حوله ، فإن للإيمان دفء وحرارة يسرى تيارها إلى الجيران فتكون الصلة الدافئة المفيدة ، وهذا حق الجار الذى كاد رسول الله ﷺ أن يورثه .

والبيت المسلم يسعى بهذا الدفء المفيد إلى من حوله من البيوت بسمته وأخلاقه ومعاملاته ومجاملاته الطيبة العاقلة ، فينشأ بين الجيران الأمان .. الذى هو عنوان الإيمان ، إذ لا إيمان دون هذا الأمان « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن .. من لا يأمن جاره بوائقه » [1] أى غدره وخيانته وظلمه .

فإذا ما كان هذا الأمان والإيمان كان الترابط وكانت الأخوة ، وكانت البيوت بنيانا يشد بعضه بعضا ، وما أكثر المناسبات التى تقوى هذا الترابط ، الذى إن وجد خف الأذى .. .. .. وبشئ من الصبر واحتمال الأذى .. كذلك بشئ من الحلم والصفح وإبداء النية الطيبة وبعض التضحية ، تعمر البيوت جميعاً بالحب والوفاء والتنافس على الخير .. وحينئذ تمتلئ هذه البيوت بدعوة الله تعالى .. وتشع بدورها الخير إلى غيرها .

(١) متفق عليه .

ومثل جيران البيت جيران الصف العبادى داخل المسجد فى الصلاة .. خلف إمام وقبلة واحدة ، وقلوبهم خاشعة جميعها لله الواحد الأحد . فإن من الطبيعى وقد جمعهم الإيمان أن يكون بينهم الحب والود ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾ [1] .

فجيران المسجد وجيران العبادة كجيران البيت يتعارفون على الله ويجتمعون عليه وهذه مهمة البيت المسلم وزملاء العمل جيران فى مكان العمل ، وزملاء الدراسة فى جامعات التعليم ومعاهده جيران كذلك .

والبيت المسلم رجل وامرأة فتى وفتاة كل يؤدى دوره مع الجيران أينما كانوا ، فحينئذ يكونون مصابيح الهدى ومفاتيح الهداية فى المجتمع ، فيصل العطاء إلى الجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل .

* * *

(١) سورة مريم / ٩٦ .

٤ـ ومع الأرحام وذوى القربى !

وهؤلاء أصحاب حق واجب العطاء عند البيت المسلم ، وعنده خاصة استجابة لأمره سبحانه وتعالى : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض** ﴾ [(١)] ولقوله : ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾ [(٢)] فإن كان جارا فقد كبر حجم هذا الحق .. ثم إن المحافظة على هذه الصلة يباركها اللـه عز وجل قـال عليه السلام : « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره أجله فليصل رحمه » [(٣)].

ويكفى أن الرحم تحدث فتقول : (من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله) [(٤)] ويروى الطبرانى بإسناد حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قـال : قـال عليه السلام : « إن الله ليعمر بالقوم الديار ، ويثمر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم » قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال : « بصلتهم أرحامهم » ثم أن الله عـز وجل جـعل قطع هذه الصلة من صـفـات الكفـار والفاسـقين . قال تعـالى : ﴿ **فأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد**

---

(١) الأنفال / ٧٥ .

(٢) الإسراء / ٢٦ .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

الله بهـذا مثلا ، يضل به كثيـرا ويهدى به كثيرا ومـا يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون مـا أمـر الله به أن يوصل ، ويفسـدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾ [1] وهنا وصفهم الله بالخاسرين وقرنهم بمن يفسد وينقض العهد .. وكلها صفات بشعة بعيدة عن البيت المسلم ، وهو مركز إشعاع الخير تزيده هذه الصلة نوراً وبرا .. وتتسع مظلته على ذويه وأرحامه فيصبحون له ومعه وبه مجتمعا طيب الأعراف .

* * *

(١) البقرة / ٢٦ : ٢٧ .

٥ـ مع المجتمع

إذا أردنا التعرف على علاقة البيت بالمجتمع ، فالأمر واضح بيّن ، فأفراد البيت في داخله مجتمع صغير ، له نظامه وثقافته وقوانينه ومبادؤه وأفكاره ، وله قيمه وعلاقاته ، وأفراد البيوت فى مجملها ، هم بذواتهم أفراد المجتمع الواسع الكبير يخرجون إليه للعلم أو للعمل ، للعلم بفروعه المختلفة ومؤسساته العلمية والتعليمية الخاصة وكذلك للعمل فى سائر مؤسسات العمل الإدارية والتنفيذية والتجارية وغيرها ..

يخرجون لهذا المجتمع بما لديهم وبما عندهم من أفكار وقيم وأخلاق .. إلخ يتجمعون ويتلاقون ويختلطون ثم يتعارفون كأفراد ، ويحدث مثل ذلك بين تلك القيم والأفكار والثقافات حيث أن لكل بيت ما يخصه منها .. ويحدث أنه ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، ويبدأ الحوار فيزداد التعارف والائتلاف أو التناكر والاختلاف ، حتى تستقر المفاهيم إلى حق وباطل أو خير وشر أو إلى خطأ وصواب أو سلب وإيجاب ، وأخيرا ﴿ **أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى**

الأرض ﴾ (١)، فالمجتمع إذن لبنانه البيوت ، ويكون المجتمع حسبما تكون اللبنات وأفراد هذه اللبنات ، فكلما كانت اللبنات بأفرادها قوية متماسكة كان المجتمع كذلك ، وكلما كانت هذه اللبنات بأفرادها تحق الحق وتبطل الباطل ، وتسعى بالخير وتنكر الشر ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كان المجتمع كذلك فالبيت بأفراده وأخلاقه هو الذى يصنع المجتمع ، والبيت مع المجتمع يخرجان العلماء والقادة وسائر أفراد جميع المؤسسات وأنواع العمل المختلفة ، فالبيت هو الدعامة القوية فى بناء المجتمع .. أما إذا كانت هذه الدعامة ضعيفة مفككة وذات قيم وأخلاق لا تحق الحق ولا تنكر الشر وتقاومه ، فهكذا سيكون المجتمع وسيكون لهذا المجتمع بالطبع أثره السئ على سائر الأفراد واللبنات التى لم تؤسس على تقوى من الله ورضوان .

والمطلوب من البيت المسلم تكوين مجتمع مسلم .. يرفع راية الحق ويدافع عنها .. ويحمى نفسه .. ومن هنا يجب أن يزداد البيت المسلم استجابة لقول الله عز وجل : ﴿ .. **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ... ﴾ (٢) فإذا غيّب أو تغافل أهل الحق عن دورهم كانت هذه جريمة إذ تركوا المجال لأهل الشر يعبثون ..

(١) الرعد / ١٧ .
(٢) التحريم / ٦ .

* **خصائص المجتمع المسلم**

لا أقل من أن أنقل من كلام الشيخ الدكتور / يوسف القرضاوى هذه الفقرة عن المجتمع المسلم [1] :

(المجتمع المسلم مجتمع متميز عن سائر المجتمعات بمكوناته وخصائصه ، فهو مجتمع ربانى : إنسانى : أخلاقى : متوازن . والمسلمون مطالبون بإقامة هذا المجتمع ، حتى يمكنوا فيه لدينهم ، ويجسدوا فيه شخصيتهم ، ويحيوا فى ظله حياة إسلامية متكاملة ، حياة توجهها العقيدة الإسلامية ، وتحركها المشاعر الإسلامية ، وتزكيها العبادات الإسلامية ، وتقودها المفاهيم الإسلامية ، وتضبطها الأخلاق الإسلامية ، وتجملها الآداب الإسلامية ، وتهيمن عليها القيم الإسلامية ، وتحكمها التشريعات الإسلامية ، وتوجه اقتصادها وفنونها وسياستها التعاليم الإسلامية) .

انتهى كلام فضيلة الدكتور . فالمسلمون إذن مطالبون بإقامة هذا المجتمع بهذه الخصائص المشار إليها .. مطالبون من قبل الله عز وجل ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [2] ومطالبون بإقامة هذا المجتمع من قبل المصطفى ﷺ : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ،

(١) ملامح المجتمع المسلم د. يوسف القرضاوى .

(٢) أحمد وأبو داود الترمذى .

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجز » . ومطالبون بإقامة هذا المجتمع بالتمسك بأغلى الروابط عندهم ، والعقيدة أغلى الروابط ، عقيدة الإسلام الشامل الذى يتناول مظاهر الحياة جميعاً .

ودعائم هذا المجتمع الفرد المسلم ، رجل وامرأة ، فتى وفتاة ، كبير وصغير ، وبالفرد يتكون البيت المسلم زوج وزوجة بنين وبنات ، ومن جملة البيوت المسلمة يتكون هذا المجتمع المنشود ، فالمسئولية عقيدة شرعية وضرورة بشرية .. على الرجال والنساء عامة والمسلمين خاصة (فليس بمؤمن أبدا من احتكم إلى غير رسول الله ، أو رد حكمه أو تردد فيه مجرد تردد) **﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا ﴾** [١] .

والبيت المسلم حين يؤدى دوره كما سبق وبهذه النية فى داخله وخارجه ، إنما هو حقا يعبد الله كما يريد الله عز وجل ، وإنما هو حقا عبّد نفسه وعبّد من حوله وما حوله لله عز وجل وحده .. وجعله غاية ورفع رايته وأسس بنيان المجتمع على تقوى من الله ورضوان .

* * *

(١) الأحزاب / ٣٦ .

٦ـ مع سائر المؤسسات

ومن الضرورى أن تتواجد أفراد البيوت فى المؤسسات المختلفة فإنها أماكن عملهم ووظائفهم أو القائمين عليها ، وربما كانوا أصحابها وهم على أى وضع لابد أن يكونوا من المخلصين المتـقنـين لما يـؤدون ، والمحسنين المنضبطين ، أصحاب السمعة الطيبة عند الله وعند الناس .

وبأخلاقهم وتعاملهم .. يكون الإقبال عليهم ويكون الأخذ والعطاء والتجاوب .. ثم شيوع الحق وتثبيته .

كذلك ضرورة التعامل مع الإعلام بوسائله المختلفة محليا ودوليا ليقف البيت على أخبار الدنيا ، والمجتمعات المختلفة ونبض الخير والشر فيها ، ومشاكل الحياة وكيف تعالج هنا وهناك ، وألوان التقدم والتأخر صعوداً وهبوطاً ، وما تم من أحداث وما يتوقع . !! وهذا كله يساعد الأفراد على معرفة العبرة وأفضل الطرق والوسائل وأصوبها فى شق طريقهم إلى غايتهم .. وإلى قلوب الآخرين . غير متصادمين مع مجهول غاب عنهم إذ كيف يرسم الفرد طريقا ويسلكه وهو لا يعرف ما فيه من مطبات وأعطال وما يتوقعه من لصوص الطريق وقطاعه .

أما أن ينزوى الفرد فيعيش فقط مع نفسه وذويه ، بعيدا عن الناس حتى المحيطين به ، درءاً للمشاكل وبعدا عن الشر كما يشاع ، فلا يهمه إلا نفسه فقط ، فليس هذا بخلق طيب ، وليس هذا السلوك (بمقبول) لأن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم وكما أشار إلى ذلك عليه السلام قوله : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » وكذلك فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه ولا يخذله ، وأشار أيضا إلى أن المسلمين يدٌ على من سواهم .. كما أنهم إن عاشوا لأنفسهم فقط فما فهموا قوله عليه السلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » [١]. بل فما فهموا مهمتهم التى خلقهم الله عز وجل للعمل لها والحياة بها . الآية : ﴿ **إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ...** ﴾ [٢].

* * *

(١) متفق عله .

(٢) الحجرات / ١٣ .

٧ـ مع البيئة

ومن صدقات الانفتاح تلك الحملات والجولات الخدمية التى تقوم بها مجموعة من البيوت المتعاونة لنظافة البيئة وتجميلها بالأشجار ، وإزالة ما بها من تراب وقمامة ، وكذلك حملات التوعية الطبية والتبرع بالدم وزيارة المرضى وتقديم الهدايا لهم وذلك يمكن أن يتم بتعاون سكان العمارة الواحدة ، وكذلك العمارات المتجاورة .. فما أجمل أن يكون البيت المسلم هو رائد هذه الجولات ابتغاء وجه الله تعالى واستجلابا لرضاه ولا يخفى دور المرأة فى هذا الأمر والتعرف به وإشاعته داخل البيوت والتجمعات النسائية فى المساجد والنوادى وغيرها ويدخل فى ذلك المساهمة فى بناء المساجد وإقامة الحدائق والمحافظة عليها كل فى محيطه والبيئة القريبة منه .. وغير ذلك مما فيه المصلحة العامة . كما أنهم لا يقابلون السيئة بالسيئة .

* * *

٨ـ ذوى الحاجة وفى سبيل الله

خير الناس أنفعهم للناس ، وأفراد البيت المسلم بعلاقتهم المرضية والطيبة وأحاسيسهم الرقيقة ونظراتهم العميقة التى بها يدركون حاجة من حولهم وظروفهم ومعاملتهم ، فنجدهم سباقين إلى فعل الخير وتقديم الخدمات للمحتاج وفك الأزمات وتفريج كروب الناس ما أمكنهم ذلك ، يؤثرونهم ويضحون من أجلهم سواء كانت هذه التضحية بوقت أو جهد أو مال ، يتفننون فى مساعدة الناس ، والوقوف بجانبهم ويدفعون غيرهم لذلك فإن للفقير والمحتاج حق عند الغنى ومن أفاض الله عليه ، فأنواع البر والصدقات ودفع القادر على أدائها منهج فى حياتهم رجالا ونساء وأطفالا ، وحصة سارية فى أعناقهم يؤدونها جميعا لا يريدون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا إلا ابتغاء وجه الله تعالى : « فمن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .. » [١] ولا يجب أن ينس البيت المسلم ترتيب أولوياته فى هذا الأمر ، فالأقارب والجيران وفى سبيل الله، والأشد حاجة ثم أن المسلمين فى العالم تتكافأ دماؤهم وهم جسد واحد ، فالحكمة الحكمة فى الترتيب ،

(١) متفق عليه .

ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . ثم إن عليهم التمييز بين المحتاج الحقيقى ومن احتـرف ذلك . قـال تعـالى : ﴿ **ومـا تنفـقـوا من خـيـر فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وماتنفقوا من خير يوف إليكم وأنت لا تظلمـون . للفـقـراء الذين أحـصـروا فى سبيل الله ، لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنيـاء من التعفف ، تعرفهم بسيـماهم ، لا يسألون الناس إلحافا ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** ﴾ [1] صدق الله العظيم .

* * *

(١) البقرة / ٢٧٣ .

٩ـ مع الدعوة

قلوبنا وأرواحنا رجالا ونساء جنود مجندة .. جندها ربها .. لدعوته .. فهى مكلفة بالدعوة إلى الله من قبله سبحانه ، ليس من قبل أحد من البشر مهما كان والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. إلخ ، وكما أن الدعوة تكون فى المحيط القريب .. فإنها أيضاً تشمل هذا المجتمع ، القريب والبعيد ، وكما أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. فهو واجب عليهم فى المجتمع القريب والبعيد .. فلنتهيأ للدعوة حسبما تقتضى ظروف الدعوة زمانا ومكانا .. ولهذا كانت حكمة الله فى رغبة كل من الرجل والمرأة بعضهما لبعض ، .. وكما يقول الله عز وجل ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ (١) ﴿ **وجعل بينهما مودة ورحمة** ﴾ (٢) .

وعلى البيت غرس هذا المعنى فى نفوس الأولاد بنين وبنات ودفعهم لأداء دورهم كذلك فى المجتمع القريب والبعيد ودفعهم كذلك للارتباط بالمسجد ودروسه وخطبه وبأقرانهم من راود المسجد ، فى أنشطته المختلفة ، ومتابعتهم فى ذلك .. والتأكد من

(١) آل عمران / ١٩٥ . (٢) الروم / ٢١ .

جنى الخير عندهم والحرص على النهج المحمدى ، فلا تشدد ولا تسـيب .. ولا انحـراف فى فـهـم أو سلوك .. وهذا يحتـاج إلى الاهتـمام كل الاهتـمام بالأبناء جـميعا .. وفى هذه المرحلة من عـمـرهم .. مـرحلة التكوين والبناء وحب المعرفـة .. وذلك حتى تتكون شخصيتهم السوية المستقيمة التى تميز بين الخطأ والصواب والغث والسمين . فإن المجتمع هو البيت الواسع الكبير لكل أفراد الأسرة .

* * *

١٠ـ مع صدقات الانفتاح

هذه صدقات تفتح على الفرد المسلم قلوب الناس وتستجلب رضاهم وحبهم وهى من تعليمات الإسلام وسننه العظيمة .. فاللسان الطيب بالكلمة الطيبة صدقة ، و ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** ﴾ [١] والوجه الباش والثغر المبتسم صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وأن تنادى أخاك بأحب الأسماء إليه صدقة ، وتوسع له فى المجلس ، وتشمته إذا عطس ، وتزوره وتجامله .. وتعفو عنه وتسامحه ، وتهاديه .. وتترفق معه .. وتحسن استقباله وتوديعه .. وتخلفه فى أهله ولو بالسؤال هذه وغيرها .. من سنن الإسلام واجبات على أفراد البيت المسلم نحو المجتمع الذى يعيشون فيه .

* * *

---

(١) البقرة / ٢٦٣ .

١١ـ مع نعمة الصحة والتغذية

والبيت المسلم يشكر الله كثيرا على نعمه الكثيرة وفضله العميم .. نعمة العقل ونعمة السمع ونعمة البصر ونعمة هذه الهيأة ﴿ **وصوركم فأحسن صوركم** ﴾ [١] وهذا الجمال فى الخلق ﴿ **فى أحسن تقويم** ﴾ [٢]، ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [٣] فهم يسبحون ويحمدون ويكبرون .. فعليهم ـ أفراد البيت ـ المحافظة على هذه النعم وخاصة نعمة الصحة .. فإن العقل السليم فى الجسم السليم ، وإن لبدنك عليك حقا .. فالتوازن فى كل الأمور .. هو الاعتدال .. وهو الوسطية فلا إفراط ولا تفريط ولا ضرر ولا ضرار ، أمة وسطا ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ [٤] فالتغذية ومعرفة عناصر الوجبة ثم طريقة تقديم وعرض الطعام .. وتحقيق القاعدة « لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » .. فالمعدة بيت الداء وقبل ذلك الرضاعة الطبيعة

---

(١) غافر / ٦٤ .
(٢) التين / ٤ .
(٣) إبراهيم / ٣٤ .
(٤) الأعراف / ٣١ .

والالتزام بها دون تهاون .. ثم تقوية العظام .. وتعويد الطفل النظام في التغذية وإكسابه في هذه الفترة العادات الصحية التي إن تعودها في هذا الوقت .. التزم بها طبيعة في كبره ، أما التغذية الإيمانية ، فحدث ولا حرج فالطفل يعتادها ويرضعها من أمه مع التغذية المادية والحب والعطف والحنان والخصال الحميدة والخلق الطيب والأدب والحياء .. والعفو والتسامح .. إلى كل أخلاق الإسلام فجميعها غذاء روحي رباني يعتاده الإنسان صغيرا من أبويه ، يكبر بها .. ويعيشها تعاملاً مع نفسه وغيره .. وبهذا يكتسب الأبناء صحة الإيمان والبدن معاً .

* * *

١٢ـ مع يوم الأسرة خارج البيت

فى رحلة إلى مكان جميل أو نزهة إلى حديقة ممتعة أو زيارة للتغيير أو إلى ما يجلب السرور ويشرح الصدور ويجدد النشاط ويبعث على التفاؤل والأمل .. « روحوا عن القلوب ساعة بساعة » [١] .. كما أنه لن يخلو من الفوائد تربويا واجتماعيا وثقافيا وكذلك الاعتماد على النفس فى الإعداد لهذا اليوم .

ولا يفوتنا أننا لتنفيذ هذه الرحلة قد نركب المواصلات المختلفة ، ونسير فى الشارع ، ونجلس أو نلعب ونجرى فى الحديقة وبين الأشجار ونتناول الأطعمة والمشروبات ونحن فى كل هذا أمام أعين الناس ونظراتهم وقد نحتك بهم .. فلا ننسى أبداً تلك الآداب والأخلاقيات التى نتميز بها .. فنعطى كل مكان حقه ، ونحترم مشاعر الآخرين ، فلا يصدر قول أو عمل يضر أو يؤذى .. بل يجب أن تكون هيآتنا .. أقوالنا .. أعمالنا كلها دعوة تجذب الآخرين للحب والتعارف وحسن المعاملة فلا يرى الناس منا إلا كل خير .. (فالمسلم كالشامة بين الناس) .

* * *

(١) أخرجه أبو داود فى المراسيل .

الخاتمة ..

بيوتنا يجب أن نكون حصونا تحمي وتحفظ أفرادها من الأفكار والتيارات التي تعصف بالقيم والأخلاق .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ورسالة الإسلام أخلاق .. فقد قال صاحبها عليه السلام إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ..

وفي هذه الرسالة دعوة إلى ذلك .. وإشارات إلى تلك الوسائل الضرورية لتأسيس بيوتنا على تقوى من الله ورضوان ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير .. أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم** ﴾ [1] نعوذ بالله من ذلك .

فلنتعاهد على الارتقاء ببيوتنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .. ومع الوقت والتدرج والصبر .. وبالعزيمة القوية والاصرار على كسب الخطوة وراء الخطوة . نصل بإذن الله إلى الغاية المنشودة .. والله من وراء القصد .

* * *

(١) التوبة / ١٠٩ .

الموضوع	الفهرس	الصفحة

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة

* * *

رقم الإيداع : ٩٥٤٢ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 977-5339-50-2